وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

الهدايات القرآنية في سورة الحجرات
وأثرها في بناء القيم الإنسانية

اسم الباحث/ـة

د/ مرتضى علي مصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم

المستخلص:

الكلمات المفتاحية: سورة الحجرات، الهدايات القرآنية، القيم الإنسانية.

تناولت هذه الدراسة الهدايات القرآنية في سورة الحجرات وأثرها في بناء القيم الإنسانية، مبينة القواعد والقوانين التي جعلها الله –جلا في علاه– سمة مميزة لهذه الأمة. هدفت الدراسة إلى استنباط هذه الهدايات وتبينها وربطها بواقع الأمة، **وقسم الباحث الدراسة إلى ستة محاور**؛ مركزة على الهدايات القرآنية المتعلقة ببناء المجتمع؛ تجنبا للاستطراد والتطويل، علما بأن السورة حافلة بالموضوعات وغنية بالهدايات والفوائد.

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي، مع ذكر أقوال المفسرين المعتبرين من السالفين والمعاصرين، ولم يتعرض الباحث إلى أسباب النزول ولا لاختلافات المفسرين، بل قصر الباحث على الهدايات القرآنية المجتمعية.

خلصت نتائج الدراسة إلى أن السورة قدمت منهجاً ربانياً صالحا لكل زمان ومكان، في التنظيم والتهذيب لإقامة مجتمع طاهر نقي السرائر والظواهر. ووضعت قواعد للمجتمع الإسلامي قاعدته﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وتدور العلاقة الإنسانية حول﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ والقاعدة المحورية التي يدور حولها المنهج﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

المقدمة وتعريف بالسورة:

إن التأمل والغوص في كلام الله عز وجل والتنقيب عن جواهر الدلالات والهدي، ليس بالأمر السهل، بل سباحة تتطلب أذرعا قوية وتسلحا بالمعرفة وعلوم القرآن والسنة واللغة والبيان، ودراية بالمقاصد الشرعية وإتباع سلف الأمة في السلوك والمنهج.

والقرآن الكريم شاءت عناية الله الحليم الكريم أن يكون في كل زمان ومكان إمام الإنسانية ورائدها، ففيه نبأ ما قبلنا، وفيه حكم ما بيننا، وهو حبل الله المتين، والصراط المستقيم، وهو الكتاب الذي لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق بكثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه؛ وذلك ما يشجع كل من يحسن التدبر والتعامل مع القرآن في كل عصر محاولة تبينه، وتبليغ ما مكنه الله عز وجل منه وفتح به عليه للآخرين.

والهدايات القرآنية في مجال إصلاح المجتمع تعالج كثير من القضايا المعاصرة، والقرآن الكريم يزخر بالهدايات إلى الأسباب الواقية والوسائل المنجية، ويُرَغِّبُ في الخير العاصم من الموبقات المهلكة. في ضوء هذه المعطيات تأتي هذه الدراسة للوقوف على الهدايات القرآنية في سورة الحجرات، التي تنير الطريق وتهدي إلى الرشد وتصلح الفرد وتحمي المجتمع، وتعلي شأن الأمة، وتمهد الطريق للرقي.

تتناول الدراسة سورة الحجرات من عدة محاور تتمثل في التعريف بالسورة، ثم دراسة آيات السورة وموضوعاتها، وتبين الهدايات القرآنية فيها، ومحاولة ربطها بواقع الأمة.

سورة الحجرات سورة مدنية بالإجماع، [1]

وهي من السور المتأخرة في النزول. نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، في عام الوفود. لا يوجد لهذه السورة اسم غير الذي أُشْتهِرَتْ به، وهو سورة الحجرات، نسبة للحجرات التي كانت تسكنها أمهات المؤمنين، زوجات النبي عليه

الصلاة والسلام. تدور سورة الحجرات حول الآداب والمكارم والأخلاق، وتعالج كثير من الأمراض المجتمعية، وتدعو إلى السمو الأخلاقي للفرد والمجتمع. شملت السورة آداب ووصايا وتوجيهات ربانية تشكل نسيجا متكاملا، لبناء مجتمع إسلامي، صحيح خالٍ من المكدرات والمنغصات الأخلاقية، وتؤسس لقواعد التعامل والتأدب، سواء كان الأدب مع الله عز وجل أو مع رسوله، أو الأدب مع النفس، ومع الناس، فهي تبرز الجوانب الأدبية بشكل جلي واضح، وترتقي وتحلق بالمؤمن إلى فضاءات السمو الرفيع والابتعاد عن السفاسف والدنايا والقبح.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول سؤال محوري يتمثل في:

ما الهدايات القرآنية في سورة الحجرات، وما أثرها في بناء القيم الإنسانية؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى جمع الهدايات القرآنية في سورة الحجرات، وتبين أثرها في بناء القيم الإنسانية، وإظهار ما فيها من هدايات ومقاصد، ومحاولة ربط ذلك بواقع الأمة. ويسعى البحث إلى تحويل هدايات سورة الحجرات إلى سلوك مجتمعي يعيشه الفرد، وتسعد به الجماعة.

أهمية البحث:

يغطي البحث جانباً اجتماعياً مهما بتناوله للهدايات القرآنية في سورة الحجرات، في وقت تحتاج فيه الأمة الإسلامية للرجوع إلى كتابها والاستنارة بهديه لتسلك الطريق القويم لبناء القيم الإنسانية لتسعد وترتقي في سلم الحضارة.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، مسترشدا بأقوال المفسرين وأقوال علماء السلف الصالح.

محاور الدراسة:

المحور الأول: الطاعة والانقياد لأوامر الله ورسوله، والتأدب معهما:

قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ الحجرات: ١ - ٣

إن هذه الآيات الكريمة اشتملت على الأدب مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، هذه آداب، أدَّب الله جلا في علاه بها عباده المؤمنين فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾ الحجرات:١.أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعا له في كل الأمور، قال ابن عباس:﴿ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.[1]

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ هذا أدب ثان أدّب الله به المؤمنين بألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته. "وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله: "وهذا أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. في خطابه، أي لا يرفع به المخاطب له صوته معه، فوق صوته، ولا يجهر له بالقول، بل يغض صوته، ويخاطبه بأدب ولين وتعظيم وتكريم، وإجلال.[2] والتأدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته، ويكون بعد وفاته بالتمسك بسنته والذود عنها.

---

[1] تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمربن كثير، تحقيق محمد سامي سلامة، ط٢، دار طيبة، ج٧ ص ٢٦٥-٢٦٤.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١٤٢٠،١هـ،٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، ص٧٩٩ .

تُقْتَطَفُ من الآيات البينات أن تكون الأمور التي تنتمي إلى عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، أو تصدر عن الله ورسوله، مقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا استثناء، ولا تقييد.(١) والاحتراس من بطلان العمل، وحبوطه.

من هدايات الآيات:

هذه الآيات الكريمة تضمنت أمر رباني موجه للذين آمنوا، يحمل أحكاماً من أهمها:

١. النهي الصريح عن التقديم بين يدي الله ورسوله وتحريم ما لم يأذن به الله والأمر بحسن التأدب مع الله ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما أن الوحي قد انقطع، والرسول صلى الله عليه وسلم قد قُبض فعلى المسلم اليوم وفي كل عصر وحين أن يتأدب مع الله ورسوله، باحترام الكتاب والسنة والعمل بهما ونشر مضامينها والدفاع عنهما.

٢. الدلالة على علو شأن الخالق العظيم سبحانه الذي نقف بين يدي عبادته، مما يفيد كذلك الاحتراز من التقديم على شرعه، والانشغال عنه. وليس للعبد أن يسبق الخالق البارئ المشرع في أمر ولا نهي.

٣. عظم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وما يجب في حقه من الأدب والتوقير.

٤. الوصف الجميل المحفز إلى التلبية والاستجابة والتسليم، هذا النداء الحبيب الذي يستحي من يُدعَى به من الله ربه الكريم ألَّا يجيب، والذي ييسر كل تكليف ويهون كل مشقة ويشوق كل قلب، فيسمع ويستجيب.

٥. بالنظر إلى واقع الأمة نجد أنها في أشد الحاجة للتخلق بهذه الهدايات، وعدم الاستهزاء بتعاليم الدين، أو الاعتقاد بعدم صلاحية هذه الهدايات للواقع المعاصر.

٦. يمكن أن تستثمر هذه الآيات في تقرير آداب المتعلم متلقي العلم، مع المعلم مبلغ العلم، وهي آداب كثيرة كالتركيز والتوقير والتقدير والمسارعة إلى توجيه وتنفيذ النصح والإرشاد، واجتناب التقدم بين يدي المعلم.

---

(١) الأخلاق الاجتماعية البانية في سورة الحجرات، رضوان بن شقرون، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص٤٦ .

٧. تضمنت الآيات آداب رفيعة نابعة من الرحمة الإلهية والعناية الربانية، من مصلحة الأمة والمجتمع الإسلامي أن تسود هذه الآداب فيه وتنتشر، ومن الخير للأفراد والمجتمعات أن يتأدبوا بها يتخلقوا.

المحور الثاني: التثبت في قَبولِ الأخبار وطاعة القيادة:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ الحجرات: ٦

إن تناقل الأخبار من الأمور المشروعة بين الناس، وجاءت الآيات الكريمة لتلفت الانتباه إلى ضرورة التثبت في هذا الأمر، يقول الحافظ ابن كثير:" إن الله يأمر بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له؛ لئلا يحكم بقوله، فقد يكون كاذباً أو خاطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن اتباع سبيل الفاسقين.(١)

واجب المسلم في مثل هذه المواقف، هو حكمة تلقي الأخبار، والحذر من مبغة التهاون في تحقيقها: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ أي أن الناس مأمورون بأن يتوقفوا في قبول الخبر واستشماره، وتفعيل أثره في الحكم والتعامل، وأن يتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة، ولا يعتمدوا قول الفاسق؛ لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب.
في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام بمختلف أنواعها وتعدد منابرها، وتكاثر محطات البث الفضائية،

يقف المسلم متثبتاً في نقل وتلقي الخبر والأمانة في نشر المعلومات مهتديا بهدي القرآن الكريم دون تخبط ولا سعي لاكتساب الشهرة والمعجبين، فيسلك مسلك الصدق من الوحي ومهتدياً بهذه الآيات البينات وكذلك سائر مقولات الوحي بشقيه: الكتاب والسنة، فلا يقف حائراً، فعنده من الوحي ما يحدد له مسؤولية التبليغ وحكمة التلقي.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٧، ص ٣٧٠

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ ﴾الحجرات:.٨,٧

للهدي القرآني وحسن تلقيه والعمل به أثر بالغ في القلوب. قال القرطبي: "ولكن الله لا يقره على طاعتكم بل ينزل عليه من الوحي بما فيه صلاحكم وراحتكم، لأن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، فلا يسلك بكم إلا ما يليق بشأنكم من الحفظ والعصمة"(١)

من هدايات الآيات:

١-التنبيه إلى خطورة وسائل الإعلام في المجتمع، وما يمكن أن تسببه من مشكلات اجتماعية خطيرة أو تحدث من الفتنة إذا لم يتثبت ويتحرى ويتأني فيها.

٢-ضرورة التثبت وعدم الانسياق مع الفاسقين باعتبارهم خرجوا عن جادة الطريق وانحرفوا عن الاستقامة.

٣-الأخذ بمبدأ التثبت والتبين عند سماع الخبر من شخص لم يعرف بالتقوى والاستقامة والعدالة التامة.

٤-الأمر بالتبين والتثبت من خبر الفاسق؛ يدل على عدم إهمال خبر الفاسق مطلقا ولا يعتمد عليه بثقة مطلقة.

٥-دور القيادة الرشيدة الحكيمة التي تحرص على راحة الأمة، وتأخذ بيدها بعيداً عن الكفر والفسوق والعصيان.

المحور الثالث: فض النزاع والإصلاح بين المؤمنين:

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، ج١٦، ص٣١١ .

وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾

والمعنى: إذا تقاتلت جماعتان من المسلمين، فعلى ولي الأمر الإصلاح بينهما بالنصح والدعوة إلى الله والإرشاد، وإزالة الشبه، ورفع أسباب الخلاف. والتعبير ب (إن) للدلالة على ندرة الواقعة، والخطاب لولاة الأمور، ويفيد الوجوب. وهو يدل على أن المعصية، وإن عظمت- لا تخرج من الإيمان. فإن اعتدت أو تجاوزت إحدى الجماعتين على الأخرى، ولم تتقبل النصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله وترك البغي، ويكون القتال بالسلاح وغيره، يفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيئة، فإن تحقق المطلوب سلما بغير سلاح، كان مسرفاً في الزيادة، وإن تعين السلاح، فعل حتى الفيئة.(١)

ثم أمر الله بالإصلاح في كل نزاع، لأن الله جعل بين المؤمنين أخوة في الدين، يجمعهم أصل واحد، وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين، وقاعدة الإصلاح قائمة على تقوى الله، لذا أمر الله بعدئذ بالتقوى في هذا الإصلاح وفي كل أمر، بأن يلتزم الجميع بالحق والعدل، والبعد عن الظلم، ورقابة الله وخشيته، فإن المتنازعين إخوة في الدين، والإسلام سوّى بين جميع المؤمنين، لعلكم ترحمون أيها المتخاصمون بسبب التقوى: وهي التزام الأوامر، واجتناب النواهي، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

إنما المفيدة للحصر: تفيد أنه لا أخوة إلا بين المؤمنين، لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وهذا يدل على أن أخوة الدين أقوى وأمتن وأخلد من أخوة النسب.

(١) التفسير الوسيط، د. مصطفى بن وهبة الزحيلي. الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الفكر، دمشق .

من هدايات الآيات:

١. تسمية الله للطائفتين مؤمنين مع اقتتالها، يدل على أن المعصية لا تخرج عن الإيمان، وإن عظمت، والبغي لا يزيل صفة الإيمان عن الباغيين ما أقروا بالشهادتين.

٢. الهدف من قتال الفئة الباغية ليس القضاء عليهم، وإنما ردهم إلى الصف، وإعادة معنى الأخوة وهذا هو الأصل.

٣. التدخل يكون بغرض الإصلاح أولا فإذا تم الصلح وبغت إحداهما على الأخرى، وجب مساعدة المبغي عليها.

٤. تبين الآيات دور قادة الأمة في صيانة أمنها والأخذ على يد الخارجين على نظام المجتمع الإسلامي.

٥. العدل سمة أساسية للمجتمع المسلم وأساس المحبة.

٦. الأخوة الإيمانية سبيل الرحمة.

المحور الرابع: الالتزام بالموضوعية والابتعاد عن السخرية وحفظ كرامة المسلم وحرمة حياته:

قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ الحجرات: ١١

أي: يا معشر المؤمنين، يا من اتصفتم بالإيمان، وصدَّقتم بكتاب الله وبرسوله، لا يهزأ جماعة بجماعة، ولا يسخر أحد من أحد، فقد يكون المسخور منه خيراً عند الله من الساخر، وربَّ أشعث أغبر ذو طمرين لو أقسم على الله لأبره ولا يسخر نساء من نساء فعسى أن تكون المحتقر منها خيراً عند الله وأفضل من الساخرة ،ولا يعب بعضكم بعضاً، ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء. قال العلامة الشنقيطي:"وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي

عن السخرية جاء ذم فاعله وعقوبته عند الله في غير هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾ (١) التوبة: ٧٩

تعالج الآيات أمراضاً اجتماعية تنخر جسم المجتمع إذا انتشرت وهي: السخرية، واللمز، والنبز؛ لأنها شوائب موبقة وأعراض مثبطة تعرقل مسيرة المجتمع نحو الألفة والسلامة والرقي. بهدف تنقية المجتمع من أي شائبة باعتباره مجتمع المؤمنين الصادقين المتآلفين، وتصفيته من هذه الأمور الثلاثة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ الحجرات:١٢

ثم أمر الله باجتناب سوء الظن، وحرمه، فيا أيها المصدقون بالله ورسوله، ابتعدوا عن كثير من الظن، فبعض الظن وهو ظن السوء بأهل الخير موقع في الإثم، لنهي الله عنه، وكل رشيد يحترس من سوء الظن ويسد ذرائعه، ثم نهى الله عن التجسس، وقال ابن كثير: "وقوله: لا تجسسوا أي: على بعضكم بعضا.(٢) فلا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم، وتذيعوا أسرارهم ومثالبهم، والتجسس: البحث عما هو مكتوم من العيوب، والاستماع لحديث القوم وهم له كارهون.

وشبه الله تعالى الغيبة بأكل لحم الإنسان الميت للتنفير، وهو ما يكرهه كل إنسان، وإذا كان يكرهه، فالغيبة مثله، فهي كأكل جثة الإنسان، وهذا تنفير وتوبيخ وتقبيح شديد، فضلا عن كونه محرما شرعا، أي إن الغيبة حرام شراعا، وقبيحة عقلاً وعرفاً وديناً، وهي ذكرك أخاك بما يكره، فلا يذكر بعضكم بعضاً

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ج٧، ٤١٣ .
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج٧،ص٣١٤ .

في غيبته بما يسيء إليه، صراحة أو إشارة، لما فيه من الأذى بالمغتاب، وهو يتناول كل ما يؤذي الآخرين، سواء في الدين أو الدنيا، في الخُلق أو الخَلق، أو في المال، أو الولد أو الزوجة أو الخادمة أو اللباس ونحو ذلك.(١)

كثير من الأمراض المجتمعية المعاصرة تنهك النفس البشرية وقد تمتد سلبياتها وسوء نتائجها وعواقبها إلى المجتمع فتنتج الفرقة والعداوة، ولطالما حاول المصلحون الاجتماعيون بطرق مختلفة فألفوا الكتب وألقوا الخطب بكلمات بليغة تدعو إلى التحلي بالقيم وتحسين النيات وترشيد السلوك.

غير أن القرآن عرض موضوع معالجة الأمراض الاجتماعية بطريقة مثالية وبين أخطارها، ووصف منهج معالجتها ومن تلك الأمراض النوايا السيئة والخبيثة التي قد تكمن في ضمير الإنسان، والتطلع إلى الأحوال الخاصة الخفية الباطنة لأخيه مما يفضح ما يكنه الإنسان أو يكشف ما يستره، والتكلم عن الناس في غيبتهم بالمكروه المذموم من القول أو الوصف،بعلاج هذه الأمراض الاجتماعية يبني القرآن المجتمع الإسلامي على المحبة والمودة، وصدق الطوية والتحصن ضد الأحقاد والضغائن، مما يجعل المجتمع خاليا من التنافر والتباغض والتفكك المجتمعي.

التربية القرآنية الهادفة إلى نشر الصفاء بين أبناء البشر، ولما تربى الصحابة بهدي القرآن كانوا النموذج العملي الأمثل لتأسيس العلاقات الاجتماعية الحضارية، وإقامة سياج حول حرمات الأشخاص وكراماتهم وحقوقهم، وقد جاء كل ذلك في أسلوب توجيهي عملي مؤثر. لتبين أن سعادة المرء في النظر إلى الناس بعين الجمع الطيب، ومعاملتهم بروح الجماعة الطاهرة، وحسن الظن بهم أفرادا وجماعات، والتماس العذر لهم في كل ما يصدر عنهم.

من هدايات الآيات:

١-يجتنب المسلم الظن السيء، وينتهي عن التجسس وعن الاغتياب.

(١) التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الفكر، دمشق .

٢-من الظن ما يوقع في الإثم أي في المعصية، والاحتراز من العواقب الوخيمة لسوء الظن، فالنهي الوارد بصيغة الأمر باجتنابه يفيد التحريم؛ لما ينجم عن تفشيه بين أفراد المجتمع من القبائح، وما ينشأ من العداوات، وربما الفتن والاضرابات الاجتماعية.

٣-التجسس مرض اجتماعي خطير، ونقيصة مذمومة وسلوك محرم شرعا، وهو على المستوى الفردي بين الأشخاص كاشف للعوارت مضر بالمودات، وعلى المستوى الاجتماعي بين الجماعات فاضح للعيوب، مبدد للألفة والتعاون، ومفسد للعلاقات الاجتماعية.(١)

٤-السخرية والاستهزاء واللمز والتنابز، انحرافات سلوكية تؤدي إلى الانحطاط، والفرقة وخلاص المجتمع منها يتمثل في العودة إلى كتاب الله والتخلق بآدابه.

المحور الخامس: وحدة الأصل ومعيار الكفاءة الاجتماعية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾الحجرات: ١٣

أي: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء(٢)،يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبًا وقبائل أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور

(١) الأخلاق الاجتماعية البانية في سورة الحجرات، رضوان بن شقرون، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص١٣٨ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، المحقق أحمد محمد شاكر، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، ج٢٢، ص٣٠٩ .

وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقومًا، ولا أشرفهم نسبًا، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرًا وباطنًا، ممن يقوم بذلك، ظاهرًا لا باطنًا، فيجازي كلا بما يستحق. وفي الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل ذلك(١).

جاء الهدي القرآني لمعالجة مظاهر الانحراف في السلوك الإنساني التي كانت سائدة في المجتمعات قبل الإسلام، وكان مجتمع المدينة الذي أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم على أسس ورابط متينة قائمة على الهدي القرآني التي طبقها المسلمون عمليا. والإنسان لا بد أن يتعامل مع أخيه الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وأن يقيم الصلات والروابط القائمة على المصالح المشتركة، وهذا يستوجب أن يحسن المسلم التجاور مع من يختلفون معه دينا أو نسبا أو لونا أو عرقا. فقد جاء الإسلام بتلك الأسس القوية للمجتمع الإنساني بمفهومه الصحيح، لإقامة المبادئ الربانية، وتحديد الضوابط التي تقوم عليه المجتمعات. فتضمنت هذه الآيات نداء للإنسانية قاطبة﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ للتنبيه إلى وحدة الأصل وتشابه الحال من حيث الخلق والتكوين.

من هدايات الآيات:

١. أساس التفاضل بين الناس التقوى والاستقامة، والبشر متساوون في مسألة النسب والانتماء إلى الأصول، وإنما الشرف يحصل باكتساب فضيلة التدين المخلص، أو التفقه العميق، أو الكرم البالغ، أو الإحسان المتميز، فبمثل هذا يتفاضل الناس على بعضهم البعض.

٢. التباهي والتفاخر بين الناس يفسدان العلاقات وينخران المجتمعات.

٣. الإسلام لا يفرق بين العباد على أساس الألوان أو الأجناس أو الجهات.

(١) تفسير السعدي، الجزء الأول، ص٨٠٢.

٤. وضعت الآيات نظاماً اجتماعياً يوجه الإنسان والمجتمع إلى الطريق القويم؛ طريق التواضع والتآخي، ونبذ التفرقة والعنصرية، لتحقيق السعادة والطمأنينة والسلام.

المحور السادس: حقيقة الإيمان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ الحجرات: ١٤ - ١٨

لزمكم أن الله تعالى مانّ عليكم إن صدقتم في ادعائكم الإيمان. وفي هذا إيماء إلى أنهم كاذبون في ادعائهم الإيمان.ثم أكد الله تعالى علمه بكل شيء بقوله: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ.. أي إن الله تعالى عليم بما ظهر وما غاب في جميع أنحاء السماوات والأرض، ومن جملة ذلك: ما يسّره كل إنسان في نفسه، والله مطلع على كل شيء من أعمالكم، فهو مجازيكم بالخير خيرا، وبالشر شرا، وهذه الآية تؤكد الإخبار بعلم الله بجميع الكائنات، وبصره بأعمال المخلوقات، ليترسخ ذلك في الأذهان ويستقر في أصائل القلوب.

لقد أوضحت هذه الآيات: أن المؤمنين هم الذين يصدقون بقلوبهم أن الله تعالى هو الخالق والقادر والعالم بكل شيء، والرازق صاحب الفضل، والذي لا أول له ولا نهاية، وكل شيء هالك إلا وجهه، وهم يصدقون برسالة رسول الله وأنه خاتم النبيين، وإمام المرسلين، والمبلغ وحي ربه عليه، وأنه عبد الله ورسوله إلى الناس جميعا، لا إلى العرب خاصة، ولم يشكّوا في شيء، وإنما كان إيمانهم كالجبال الرواسي راسخا في القلب، ويقينا تاما لا يشوبه شيء، وأنهم يجاهدون

في سبيل الله جهادا بالنفس والمال.(١) ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾. ثم ذكر تعالى صفات المؤمنين الكُمَّل الصادقين في إيمانهم فقال ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي إنما المؤمنون الصادقون في دعوى الإيمان، الذين صدَّقوا الله ورسوله، فأقروا لله بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، عن يقين راسخ وإيمان كامل ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾ أي ثم لم يشكوا ويتزلزوا في إيمانهم بل ثبتوا على التصديق واليقين ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي وبذلوا أموالهم ومهجهم في سبيل اله وابتغاء رضوانه أي ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ أولئك الذين صدقوا في ادعاء الإيمان. . وصف تعالى المؤمنين الكاملين بثلاثة أوصاف: الأول: التصديق الجازم بالله ورسوله الثاني: عدم الشك والارتياب الثالث: الجهاد بالمال والنفس، فمن جمع هذه الأوصاف؛ فهو المؤمن الصادق ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ أي قل يا محمد، أتخبرون الله بما في ضمائركم وقلوبكم؟ ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي وهو جل وعلا العليم بأحوال جميع العباد، لا تخفى عليه خافية لا في السموات ولا في الأرض ﴿ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي واسع العلم رقيب على كل شيء، لا يعزب عنه مثقال ذرة، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.(٢)

ختم الله السورة بعلمه بغيب السماوات والأرض، وإحاطته بكل عمل في السر والعلن، لأن ذلك زجر وترهيب لمن قدَّم بين يدي الله ورسوله، ولو أن تقدمه في سره، فإنه لا تهديد أبلغ من إحاطة العلم.(٣)

---

(١) تفسير الحجرات–الحديد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م–١٤٢٥هـ، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ج١، ص٦٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري. تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٠،١هـ، ص٣١٢ .

(٣) التربية الأخلاقية في ضوء سورة الحجرات، د. عبد السلام اللوح، ورقة علمية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٤م، ص٨ .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ومن تمام نعمه أن وفقني للسياحة في رحاب سورة الحجرات وقد خلصت نتائج الدراسة في الآتي:

١-حوت السورة آداباً، يستخلص منها قوانين وقواعد كونية وأسس طبيعية، لا يستغني عنها المجتمع في أي عصر من العصور. على الرغم من قصر السورة إلا أنها تناولت كل محاور العلاقات الاجتماعية، فبينت ضوابط المجتمع المسلم بمصادر التشريع، وعلاقة المجتمع المسلم ببعضه البعض، وبغيره من المجتمعات.

٢-جمعت السورة على قصرها، وإيجازها مقومات الفلاح والثبات في ضبط المجتمع وتمهيد الطريق بناء قيم الإنسانية.

٣-تعددت وسائل الخطاب والتوجيه في سورة الحجرات، ولم يكن هذا التعدد مجرد تنويع لغرض التنويع، وإنما حمل دقة بين الغاية التربوية والطبيعية البشرية، وشملت، الترهيب والترغيب، التذكير بنعمة الله وفضله، بيان عواقب عدم الالتزام بهذه الآداب، استشعار الرقابة الدائمة من الله عز وجل.

٤-ثبات منظومة الأخلاق الإسلامية، وتميزها برقابة شرعية تضمن لها الالتزام الفردي.

٥-تنزيل محاور السورة في واقع الأمة يسهم في معالجة قضايا اجتماعية معاصرة، الخلاص منها يمهد لبناء مجتمع فاضل الأخلاق.

٦-اتجهت النداءات في السورة للنهي والأمر؛ نهيا عن السلبيات، وأمرا بالإيجابيات، وهذا أسلوب تربوي فريد.

٧-كفلت السورة الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، للفرد والجماعة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- **الأخلاق الاجتماعية البانية في سورة الحجرات**، رضوان بن شقرون، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح، الدار البيضاء.

٢- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت.

٣- **التربية الأخلاقية في ضوء سورة الحجرات**، د. عبد السلام اللوح، ورقة علمية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٤م.

٤- **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، الدار المصرية، ١٩٦٤م.

٥- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري. تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦- **تفسير الحجرات–الحديد**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م–١٤٢٥هـ، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض.

٧- **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمربن كثير، تحقيق محمد سامي سلامة، ط٢، دار طيبة.

٨- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١٤٢٠،١هـ،٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

٩- **التفسير الوسيط**، د. مصطفى بن وهبة الزحيلي. الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الفكر، دمشق.